قصة التأثير في واشنطن

07-3-2004

إسرائيل مهمة جدا, لأنها من ناحية، تمتلك تقنية عالية في تطوير الأسلحة ومقاول من طراز رفيع، ومن ناحية أخرى, لأنه ليس هناك قيود أخلاقية عليها: فليس هناك كونجرس, ليس هناك مخاوف انتهاكات حقوق الإنسان, وليس هناك قوانين ضد أخذ الرشاوي، فالحكومة الإسرائيلية يمكن أن تعمل أي شيء تريده، ولا أحد يحاسبها".

بقلم خالد حسن

* شبكة المحافظين الجدد:

دعنا نتفق ابتداء على أن الرئيس بوش وكبار مستشاريه في السياسة الخارجية ليسوا مؤيدين لنزعة المحافظين الجدد، بوش نفسه, وأيضا ريتشارد تشيني نائب الرئيس, وزير الدفاع دونالد رمسفلد ومستشارة الأمن القومي كوندوليزا رايس, كل هؤلاء محافظين، ولكن ليسوا من مؤدي نزعة "المحافظين الجدد". وفي حقيقة الأمر، فإن مؤيدي نزعة المحافظين الجدد هم هؤلاء الذين بدءوا مشوارهم السياسي ليبراليين، أو على الأقل ديمقراطيين وأصبحوا فيما بعد جمهوريين، ويشتغلون اليوم في مكاتب كبار مستشاري بوش للسياسة الخارجية في أعلى هرم السلطة.

وتمارس قلة من "المحافظين الجدد" (بول وولفويتز, ريتشارد بيرل, دوغلاس فييث, ليبي, جون بولتون وإليوت أبرامز) السلطة الحقيقية في واشنطن، أما الأكثرية، فلا. وبصفة عامة, فإن المحافظين الجدد ومؤيديهم الذي لا يشغلون مناصب رفيعة, يتوزعون بين عدة مواقع، فمنهم المتحدثون الرسميون, ومنهم رؤساء مجالس الخبراء ومراكز البحث, وكتاب (قادة الرأي)، وكل هؤلاء يضغطون ويؤثرون بأفكارهم وآرائهم إلى أن تتحول إلى سياسة رسمية متبناة من قبل بوش نفسه ومستشاريه الكبار, ويضغطون أيضا عبر هؤلاء الذين دفعوا الأموال لوصول بوش إلى الرئاسة, ونعني بهم زعماء مراكز القوى العسكرية والتجارية الذين يسيطرون على سياسة البلد.

هذه القوى, أكبر بكثير من مجرد جماعة صغيرة من الزعماء، وتتضمن الآلاف من موظفي الدفاع، التقنيات العالية, المقاولين, الموظفين الحكوميين, الموظفين العسكريين, أعضاء الكونجرس, شركات الاستثمار, العديد من المحامين والقضاة وأعضاء اللوبي, الأجانب والمحليين, الذين يرون في استمرار هذا النظام، تعزيزا لثروتهم المستقبلية.

ومن خلال هذه الهياكل, يمارس مؤيدو نزعة المحافظين الجدد السلطة والنفوذ الحقيقيين, بالرغم من أنه لا أحد منهم يحتل حاليا منصبا على مستوى مجلس الوزراء. وشيء واحد فقط جعل منهم نافذين ومهيمنين، وهو أن بوش, تشيني, رامسفيلد و رايس قبلوا بحماس واندفاع (مع بعض الاستثناءات البسيطة) كل المراحل المبكرة لجدول الأعمال السياسي للمحافظين الجدد منذ أوائل التسعينيات. ويشدد جدول الأعمال هذا، بصفة عامة على منح أولوية لمنطقة الشرق الأوسط أكثر من أي منطقة أخرى، ويتضمن توسيع الإنفاقات العسكرية الأمريكية, وتوجه أحادي للهيمنة العالمية والسيطرة المتزايدة على إمدادات العالم للنفط.

ويوصي جدول الأعمال هؤلاء الخاص بالشرق الأوسط تعزيز الشراكة الأمريكية الإسرائيلية

والسيطرة من خلالها على المنطقة، والدفاع عن خيار الحرب, بداية ضد العراق، وبعد ذلك إذا لزم الأمر ضد سوريا, إيران ودول أخرى شرق أوسطية. في الواقع, تبنى بوش المراحل المبكرة لهذه السياسات، في حين وفر تشيني, رامسفيلد ورايس الدعم. ورغم أنه كان لدى كولن باول تحفظات تجاه هذه السياسات, لكنه في الأخير, جندي مطيع, إخلاصه لعائلة بوش تغلب على "وساوسه" وتحفظاته.

* أفول بسبب العراق وإسرائيل!

ويعاني المحافظون الجدد اليوم من تراجع وأفول لسببين، الأول، منذ غزو العراق في مارس 2003, حاولوا في مرحلة مبكرة من الاحتلال المضي قدما نحو استغلال نجاحهم, لكنهم اصطدموا باستمرار ارتفاع حصيلة خسائر القوات الأمريكية في العراق يوما بعد يوم، وهذا السبب أثر على دورهم في صنع السياسات. الثاني، علاقاتهم بالكيان الإسرائيلي، حيث يساند أقطاب المحافظين الجدد ويشجعون تقريبا كل سياسات حكومة الليكود وخيارات آريل شارون اليمينية، بالرغم من أنهم يفضلون عدم الإفصاح عن هذه العلاقات الوثيقة، وقد تسبب هذا في بعض المخاطر لبوش في سنة الانتخابات هذه. إذ يحاول مستشاروه السياسيون المقربون (وأبرزهم كارل روف) تجنب الإحراج الذي قد ينشأ بالتأكيد إذا ساد انطباع على ونطاق واسع من أن أحد الدوافع الأمريكية الحقيقية لغزو العراق كان تقوية موقع إسرائيل العسكري والسيطرة السياسية على المنطقة، لذا، فإنه منذ تولي بوش الرئاسة في يناير 2001، قلل مستشاروه من شأن أي علاقة بين إسرائيل والحرب ضد العراق. وكان طمس الدافع الإسرائيلي للحرب، أحد الأسباب الأساسية في الترويج لادعاءات حيازة العراق لأسلحة الدمار الشامل ومزاعم رغبة واشنطن في إقامة نظام ديمقراطي في العراق.

وعليه، بدأ مؤيدو بوش بشن هجومين مضادين, يدعون أولا أن الحديث عن نفوذ مؤيدي نزعة المحافظين الجدد على السياسة الخارجية الأمريكية هو أقرب إلى التخريف والهذيان, ثانيا, أنه إذا كنت مغفلا, وصدقت هذا التخريف، فإنك بالتأكيد "معادٍ للسامية"، مثال ذلك، ما كتبه ديفيد بروكس (أحد المعلقين المحافظين في صحيفة نيويورك تايمز، ويظهر كثيرا في ساعة أخبار "بي بي إس" مع جيم ليهرر) في 6 يناير, 2004 في عمود الصحيفة الخاص به: ".. تقرأ في يوم من الأيام عن أن المحافظين الجدد كانوا يضغطون لتنفيذ خطط إنهاء العراق والتحرك باتجاه سوريا، وتُظهر المواقع على الإنترنت مؤامرات المحافظين الجدد.. ولكنني قد أُبلغت من قبل كبار مسئولي الإدارة أنه لم يكن لدى أحد مراجعهم –بيرل- أي اجتماع هام مع بوش أو تشيني منذ أن تولوا المنصب...صحيح أن كلا من بوش ومؤيدي نزعة المحافظين الجدد اتفقا على أن صدام حسين مثل تهديدا نوعيا للسلام العالمي، لكن . . . تشير كل الدلائل أن بوش خلص إلى قراراته بشكل مستقل... وحتى الآن, يبدو أن هناك الملايين من الناس يؤمنون بمفهوم أن العالم تتحكم فيه القوات المنظمة والحاقدة، وبالنسبة لهؤلاء، فإن اليهود وراء كل شيء تقريبا...، وهنا تنكشف وتنبعث معاداة السامية". هذا المقطع، هو محاولة من ديفيد بروكس, لصرف الانتباه عن نفوذ المحافظين الجدد الثابت والموثق من جهة، ومن جهة أخرى، لقمع ما يعتقده أمريكيون كثيرون من خطورة السياسات الأمريكية تجاه "إسرائيل", العراق والشرق الأوسط. وقد علق روبرت فيسك الصحفي البريطاني على هذا العمود الافتتاحي بقوله: "حاول بروكس محو كلمة المحافظين الجديد من رواية الحرب على العراق".

* حقيقة العلاقة بين المحافظين الجدد و AIPAC:

إحدى المشاكل التي تواجه المحللين الغربيين المنصفين في محاولة تقييم النفوذ الحقيقي للمحافظين الجدد من خلال مساندة السياسات الخارجية الأمريكية العدوانية التي تقوي وضع إسرائيل، هي الحاجة لتحديد الوزن النسبي للمحافظين الجدد بالنظر إلى العوامل الأخرى التي تؤثر أيضا على السياسة الأمريكية تجاه الكيان الإسرائيلي. وأحد هذه العوامل هي لجنة الشئون

العامة الأمريكية الإسرائيلية (AIPAC) أقوى جماعات الضغط الأمريكية الموالية لإسرائيل القادرة أن تولد دعم الأغلبية في كلا المجلسين التشريعيين للكونجرس لأي إجراء تريده حكومة إسرائيل، ويمكن القول أنه بدون أنشطة مثل جماعات الضغط هذه, فإن نفوذ المحافظين الجدد في واشنطن سيقلَ.

ويكفي لإدراك ذلك، معرفة أن المحافظين الجدد وجماعات الضغط يشكلون معا مجتمع دعم متبادل قوي جدا, وعلاقتهم تكافلية بامتياز. فالمحافظون الجدد, كما هو ملاحظ, قد ضغطوا لمدة طويلة من أجل زيادة الإنفاقات العسكرية بالولايات المتحدة, لهذا دعموا بشكل كبير ونوعي المجموعات التي تمول بدرجة كبيرة انتخاب رؤساء اليوم. ونفوذ جماعات الضغط, أكبر بكثير من مجرد أموال يجب أن تُنفق. والعلاقات الوثيقة التي طورتها عناصر كثيرة من المجمع الصناعي العسكري الأمريكي في العقود الأخيرة بالمجمع الأصغر (الصناعي العسكري الإسرائيلي) القوي، عززت قوة المؤدين لإسرائيل في واشنطن.

* المركب الصناعي العسكري محور الاستقطاب:

وقد شرَح الناشط الإسرائيلي, جيف هالبر، المؤسس ورئيس اللجنة الإسرائيلية لمناهضة هدم البيت، ولديه خبرة كبيرة في التعامل مع أعضاء الكونجرس في السنوات الأخيرة, هذه العلاقة قائلا:

"لقد انتزعت إسرائيل لكيانها موقعا استراتيجيا هاما في صناعة الأسلحة العالمية، والعتاد الإسرائيلي العسكري المتطور والبرامج العسكرية مهمان جدا لتطوير الأسلحة في الولايات المتحدة، وقد تصبح إسرائيل أيضا المقاول الرئيسي "الخفي" للأسلحة الأمريكية، ففي العام الماضي فقط, وقعت إسرائيل عقدا لتدريب وتجهيز الجيش الصيني، ووقعت عقدا آخر ببلايين الدولارات لتدريب وتجهيز الجيش الهندي، بماذا تجهزهم؟ يجهزهم بالأسلحة الأمريكية!".

وأضاف: "إسرائيل مهمة جدا, لأنها من ناحية، تمتلك تقنية عالية في تطوير الأسلحة ومقاول من طراز رفيع، ومن ناحية أخرى, لأنه ليس هناك قيود أخلاقية عليها: فليس هناك كونجرس, ليس هناك مخاوف انتهاكات حقوق الإنسان, وليس هناك قوانين ضد أخذ الرشاوي، فالحكومة الإسرائيلية يمكن أن تعمل أي شيء تريده، ولا أحد يحاسبها".

"لهذا, عندما تبيع (AIPAC) إسرائيل للكونجرس, لا تذهب إلى الأعضاء و تطلب منهم أن يساندوا إسرائيل لأنها الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، ولكن بإخبار عضو الكونجرس أنه ينبغي أن تساند إسرائيل لأن هذا هو حجم الصناعات في دولتك التي لها روابط أعمال في إسرائيل, وهذا هو عدد الباحثين العسكريين الذي يتابعون دراساتهم العليا في جامعات منطقتك, وهذا هو كم الأعمال في منطقتك التي تعتمد على صناعات العسكرية والدفاعية. لذلك, إذا صوتَ ضد إسرائيل, فإنك تصوت ضد مصالحك الخاصة". ويضيف هالبر أن في معظم المناطق, "لدى أعضاء الكونجرس اعتماد كبير على القوات المسلحة، فأكثر من نصف التشغيل الصناعي في كاليفورنيا مرتبط بطريقة أو بأخرى بالدفاع".

وعندما يذهب الناشطون، على الجانب الآخر، إلى عضو الكونجرس ويتحدثون عن حقوق الإنسان, عن الاحتلال, عن الفلسطينيين, فإنه عادة ما تكون إجابة عضو الكونجرس, كما يقول هالبر, على هذا النحو: "أعرف هذا, قرأت الصحف, أنا غير أبله, لكنَ ذلك ليس الأساس الذي عليه أصوت، الأساس الذي عليه أصوت هو ما الجيد بالنسبة لناخبي".

وبالرغم من أن إسرائيل كيان صغير, فإن مؤيديها الأمريكان يظهرونها باعتبارها أكبر من مجرد حليف للولايات المتحدة. وفي هذا يقول موقع لجنة الشئون العامة الأمريكية الإسرائيلية على سبيل المثال، إن عمل إسرائيل هو حماية المصالح الاقتصادية الأمريكية في الشرق الأوسط، بل ويذكر أن إسرائيل تطور أسلحة الليزر من الفضاء الخارجي لحماية المصالح الأمريكية!.

فنون الخداع والتضليل للجمهور الأمريكي

21-2-2005

في السياسة الأمريكية لا يوجد شيء أفيد من معرفة أين المال, لكن روف عرف أكثر من ذلك، حيث كان قارئا نهما للتاريخ الانتخابي، يعرف أين تتمركز الأصوات وكيف تحصل عليها. وتحول من ساعي بريد إلى إدارة الحملات السياسية، أثبت قدرة فائقة في تلفيق موضوعات الحملة القوية والسهلة للاستهلاك العام. ومتمكن من صناعة الدعابة وخبير في تسويق فكرة قوية بسيطة وتدفع الناخبين إلى الاصطفاف إلى جانبك

مواد ذات علاقة

قصة التأثير في واشنطن

عندما يعتزم فريق بوش على كتابة مذكراته, بعد سنة أو خمسة سنوات من الآن, فإنه بالتأكيد لا أحد سيتشوق للكتابة عن شتاء 2004 ، الذي شهد وقوع سلسلة من الأخطاء دفعة واحدة، هذا إلى جانب الفوضى والفشل في الاستراتيجيات (العراق وأفغانستان)، وقد تصادف كارل روف (الذي يوصف بأنه عقل بوش) من تتابعها، حيث إنه منذ تولي السلطة قبل ثلاثة سنوات، اشتهرت إدارة بوش بـ"دقة" خطواتها السياسية الضيقة.

اتسمت رسائله بالبساطة دائما، والتزم رجال ونساء الرئيس جميعا بها، ويسود اعتقاد في واشنطن أن روف يشرف على كل التفصيلات. وجرَ مجلس الشيوخ إلى "التكيف" مع سيطرة البيت الأبيض وذلك بعزل ترينت لوت (Trent Lott) (زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ) وتعيين بيل فريست مكانه. وأسمع أمريكا ما أراد أن يسمعها، من خلال تصميم الأحداث في 30 أو 60 ثانية من فترة بث التلفاز، لهذا اعتبروه في واشنطن مخزنا لكل ما يستحق أن يُعرف عن ممارسة السياسية الحديثة. وفته صحيفة "النيويورك تايمز" في أواخر عام 2002 بأنه :"أحد أقوى مستشاري الإدارات الأمريكية على الأقل لجيل بأكمله"، لكن لا أحد ادعى أن روف بلغ هذا المستوى من التأثير بذكائه فقط، حيث يتحدث المراقبون وكذا زملاؤه عن "حيله" و"مكره".

لكن خصومه لا يخافونه مثل دائرته وأعضاء حزبه، ذلك لأنه نادرًا ما قد يسمح لموظف جمهوري أن "يحيد عن الطريق" بدون محاولة انتزاع الثأر، كما تبين العام الماضي عندما ذكر وزير المالية السابق بول أونيل في كتابه أن بوش قد قصد غزو العراق منذ البداية، وجد أونيل نفسه تحت تهديد مقاضاة للتلويح بالوثائق السرية، مما اضطره للاعتذار وناقض نفسه، وهذه حالة من حالات انتقام روف من "المتمردين".

لكن سنة 2004 جلبت معها حزمة من المشاكل، وبدا -لبعض الوقت- أن البيت الأبيض لا يدري ماذا يعمل. رغم أن بعضها مشاكل ثانوية, وحتى عادية. فعندما بدأ الموسم الرئيسي في يناير, أبرز الإعلام هجوم الديمقراطين على إدارة الرئيس بوش، والشيء الوحيد المثير هو النبرة "القوية" اللاذعة، إذ لم يستعمل الديمقراطيون مثل هذه اللهجة مع أي رئيس جمهوري منذ نيكسون، وتزامن هذا مع أرقام فرص العمل التي افتقرت إلى أي نبض, وشجع فريقا صحفيا من وضع أقدام بوش على النار. وانقض المراسلون على الإدارة بسرعة فائقة وبانتظام من خلال إثارة جملة من الموضوعات، حيث أثاروا قضية الرقم القياسي للحرس الوطني للرئيس, وكذا الأسئلة القديمة بخصوص تلفيقات المعلومات الاستخبارية لما قبل الحرب. وكان يمكن للأحداث أن تؤول إلى مصير أسوأ أكثر مما هو عليه الوضع الآن، ذلك أن كثيرا من حالات الفشل الفظيعة الأخرى والفضائح لم يتم التعرض لها من قبل الديمقراطيين والإعلام.

وما لم يكن يتوقعه أحد أن أسوأ ضرر أُلحق بالبيت الأبيض كان بأيدي أعضائه، فنظام البيت

الأبيض بالكامل أحدث فرقعة، ففي ظل إدارة "روف"، فإن فريق بوش كان دائما يرد على النقد بصخب وعجرفة وبوحشية.
في السياسة الأمريكية لا يوجد شيء أفيد من معرفة أين المال، لكن روف عرف أكثر من ذلك، حيث كان قارئا نهما للتاريخ الانتخابي، يعرف أين تتمركز الأصوات وكيف تحصل عليها. وتحول من ساعي بريد إلى إدارة الحملات السياسية، أثبت قدرة فائقة في تلفيق موضوعات الحملة القوية والسهلة للاستهلاك العام. ومتمكن من صناعة الدعاية وخبير في تسويق فكرة قوية بسيطة وتدفع الناخبين إلى الاصطفاف إلى جانبك..
بدأت آلة "روف" في الاشتغال مجددا كما كانت في السابق, حيث نشرت الإعلانات المضادة للمترشح الديمقراطي الرئاسي جون كيري، وعملت على استرداد سيطرة جدول أعمال الصحف اليومية. وقد أجرت نيو يورك تايمز، وشبكة سي بي إس التلفازية استفتاء الأسبوع الماضي أظهر أن بوش يتسلل ثانية قبل كيري، 46% مقابل 43 %. وخلال أقل من 24 ساعة بعد علمها بخطاب كيري، أنتجت حملة بوش (أو آلة روف) إعلانا ينتقد فيه كيري لتصويته في مجلس الشيوخ على الإنفاق العسكري. لدى حملة بوش مادة جاهزة لمطاردة كيري على أساس أصواته وخطبه. كلما يثير كرية قضية، فإن حملة بوش-تشيني جاهزة لأن توزع النشرات المضادة وتضخ الإعلانات في التلفاز والراديو. من المستحيل أن يخوض "روف" معتركا سياسيا من دون استراتيجية للهجوم مفصلة، لكنه دائما يُبقي الخطة الرئيسية بسيطة. وليس صعبا أن تستنتج خطته لانتخابات 2004، والتي تتضمن قضايا الخفض الضريبي، تشجيع النمو والحرب على الإرهاب. لكن مرة أخرى (كما في انتخابات 2000)، فإن كلمة السر كما إحددها "روف": اجعل القضية الرئيسة، الشخصية. اجعل بوش يبدو منتظما، محبوبا وقويا، واجعل كيري يبدو غير مبال، مغرض وساخر.
القاعدة السياسية الأولى كما وضعها "روف"، معرفة أين المال. وقانونه الأول في الحكم هو الاحتفاظ بقاعدة سياسية واحدة أثناء البدء في العمل الجاد لضمان الولاء المتحكم في كبار المانحين السياسيين في دورة الانتخابات القادمة.
وأحد أبرز ميزات "روف" أن لديه القدرة على رؤية وتقدير كافة الأطراف المشاركة في السياسة، وعند فحص الساحة نجد أن أهم المشاركين الفاعلين:
الجمهور: متعب، ومتخوف من فقدان أرزاقه. والأهم من هذا, أنهم جاهلون بشكل يدعو للرثاء، وتنتابه "البرودة" بسهولة, بخصوص تفاصيل أي موضوع سياسي. ولديه القابلية للتأقلم مع السباقات السياسية التي تتمحور حول الاختلافات الرئيسية حول الشخصية، وهذا تعميم واسع النطاق، لكنه حتى الآن أثبت نجاحه. والانتخابات الرئاسية هي ظواهر ثقافة جماعية، وأغلبية الناخبين لا تعرف إلا القليل عن المرشحين أو القضايا التي يطرحونها.
الإعلام: من منظور جماهيري، يمثل التلفاز الوسيلة الأكثر تأثيرا. وطبقا لدراسة مركز "بيو" للأبحاث لعام 2003, فإن ما يزيد على 80 في المئة من الأمريكيين يدعون الحصول على معظم أخبارهم من التلفاز. والنتيجة المتزنة الوحيدة لهذه الدراسة أن عددا كبيرا من الأمريكيين يستهلكون الأخبار السياسية بشكل جانبي ومتفرق، بينما يحاول آخرون متابعة الأحداث، لكن يفتقرون إلى الوقت عدا بعض الدقائق يخصصونها لمتابعة محطة إخبارية ولمحة في الصفحة الأولى لجريدتهم. وهذا مرتبط بأمرين: أولا، التأثير النسبي للإعلانات السياسية للتغطية على الأخبار أقوى مما يتصوره المراقب العادي. ثانيا، وهو الأهم، إذا أمكن أن تبعد الأخبار السيئة عن الصفحة الأولى وعن أخبار التلفاز، فإن معظم الناس لن تعرف أنها حدثت. هناك حفنة من المؤسسات الإعلامية مسئولة عما يراه الأمريكيون على أخبار التليفزيون القومية، حيث إن الجمهور الأمريكي سهل الانقياد بشكل مثير.
المعارضة السياسية : كانت غير فاعلة من قبل، وأحداث 11 سبتمبر شلتها تماما. كان

الديمقراطيون يطاردون نوبات الجمهوريين منذ ريجان، في حين أن للجيل السابق، لم يختلفوا مع الحزب الجمهوري من حيث المبدأ على أيٍ من النقاط المهمة لـ"الإمبراطورية"، امتيازات رأس المال أو التقشف الاقتصادي، غير أنهم يقلقون كثيرا ويتحركون ببطأ. بالنسبة لهم, تمثل الانتخابات معارك على حصة السوق أكثر من اتجاهات الأشياء. ويبدو حاليا أن الحزب الديمقراطي أصبح هادئا، إنه غير جاد سياسيا، ولم يعد قادرا على شن معركة متواصلة.
إن الحديث عن "نجاحات" كارل روف هو التعرض لحالات الفشل وتحريفات السياسة الأمريكية والحياة العامة.

للعودة للأعلى